المجلة الأردنية للفنون، مجلد 9، عدد 1، 2016، 1- 18

البحث عن سورة الإسراء على جدران قبة الصخرة: دراسة في الآيات القرآنية

نزار الطرشان، قسم الآثار، كلية الآثار والسياحة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

تاريخ الاستلام: 2015/2/8 تاريخ القبول:2015/12/6

The search of Surat Al-Israa' on the Walls of the Dome of the Rock A Study in the Qoranic Verse

Nezar Al-Tarshan, Department of Archaeology, Faculty of Antiquities and Tourism, University of Jordan, Amman, Jordan.

الملخص

ان قبة الصخرة المشرفة من أقدم الأبنية الأموية بقاءً في حالتها المعمارية والفنية منذ أن بنيت في خلافة عبد الملك بن مروان (72 هـ -691م)، ولأنه الأثر الأكثر قدماً فقد حظي بكثير من الدراسات المعمارية والفنية نظراً لأهمية البناء من جهة وأهمية فنون الفسيفساء من جهة أخرى .

وأكثر ما يلفت الانتباه على جدران البناء من الداخل بشكل خاص والخارج بشكل عام هو ظهور العديد من الكتابات والنقوش المنفذة بالفسيفساء وفي جلها الأعم الآيات القرآنية المجتزأة من بعض السور في القرآن الكريم.

وإن أكثر الملاحظات التي لم يتم الاهتمام بها بشكل واضح هو الغياب الملفت لسورة الإسراء أو حتى بعض الآيات منها بالفسيفساء على الرغم من أن الشائع لدى مختصي الفنون الإسلامية أن البناء في مجمله جاء تخليداً لذكرى حادثة الإسراء والمعراج.الا ان الايات التي كتبت في مجملها اقتبست من القران الكريممع بعض الأدعية. ولذلك فان البحث يطمح للاجابة على التساؤل االسابق.

الكلمات المفتاحية: فنون اسلامية، سورة الإسراء، قبة الصخرة المشرفة، الفسيفساء، الآيات القرآنية.

Abstract

This research deals with the Inscriptions of the Dome of the Rockone of the oldest buildings of the Umayyad period, built in the time of Abdul Malik bin Marwan.

The Most noticeable inscriptions on the walls of the building from the inside , are Quranic verses from some different Soras of the holy Qora'n.

One most pressing question is, why did not Surat Al Esraa' or some of its verses appear on the walls? Was this Sura or some verses found on the walls, but whether disappeared for unknown reasons, the restoration work? This is the question. This is research will try to answer.

Keywords: Islamic Arts, Dome of the Rock, mosaic. Quranic verses, Surat Al-Israa'.

"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"

(الإسراء1)

مقدمة:

تعد قبة الصخرة المشرفة أقدم الأبنية الأموية بقاءً في حالتها المعمارية والفنية منذ أن بنيت في خلافة عبد الملك بن مروان سنة (72هـ -691م) (اليعقوبي 1960)، ولأنه الأثر الأكثر قدماً فقد حظي بكثير من الدراسات المعمارية والفنية نظراً لأهمية البناء من جهة وأهمية فنون الفسيفساء من جهة أخرى.

وأكثر ما يشد الانتباه على جدران البناء من الداخل بشكل خاص والخارج بشكل عام إنما هو ظهور العديد من الكتابات والنقوش المنفذة بالفسيفساء وفي جلها الأعم آيات قرآنية مجتزأة من بعض سور القرآن الكريم.

إن أكثر الملاحظات التي لم يتم الالتفات لها الغياب الواضح والملفت لسورة الإسراء أو حتى بعض الآيات منها بالفسيفساء على الرغم من أن الشائع لدى مختصي الفنون الإسلامية أن البناء في مجمله جاء تخليداً لذكرى حادثة الإسراء والمعراج، وهنا يأتي التساؤل الأكثر إلحاحاً، لماذا لم تذكر السورة أو بعض آياتها؟ وهل أصلاً كانت هذه السورة أو بعض آياتها موجودة على الجدران، وهل اختفت لأسباب مجهولة بسبب أعمال الترميم والإصلاح المتعاقبة على البناء؟.

وهل يمكن إعادة تصور علمي؟ واستبناء الماضي لمعرفة ما إن كانت تلك السورة أو بعض آياتها موجودة؟.

إن هذا البحث هو محاولة لاستقصاء الإجابة على هذه التساؤلات استناداً إلى الشواهد الأثرية والمادية والتاريخية والفنية المتعلقة بهذا البناء الأهم في العصر الأموي المبكر.

وعليه فإن البحث يطمح لوضع إجابات أولية بهذا الخصوص، مبتعداً بقدر الإمكان عن تكرار الكثير من المعلومات حول البناء والفنون فيه إلا بذلك القدر الذي يعطي تصوراً أو ملامح أكثر وضوحاً في الإجابة على التساؤلات السابقة، أو قد يكون له صلة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع البحث من حيث الكتابات التي بذل فيها الفنان عناية خاصة كي تصبح قبة الصخرة بكامل عناصرها الفنية في حالة شاملة لمواضيع متعددة من الناحيتين المعمارية والفنية على حد سواء. وعليه ففي الصفحات القادمة استعراض للآيات القرآنية المختلفة والمتعددة على الجدران الداخلية والخارجية مع تفسير أسباب ذكر تلك الآيات بعينها وأسباب انتقاء الفنان لمثلها على الجدران.

قبة الصخرة

إن بناء قبة الصخرة يعود زمنياً كما هو معروف لدى المشتغلين في العمارة والفنون الإسلامية ومن خلال النقش التأسيسي إلى عام 72هـ/ 691م حيث خلافة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (26 هـ - 86 هـ / 646 - 705م)، على الرغم من القول بأنه نص مزور إذ يذكر اسم الخليفة العباسي المأمون(198-218هـ / 813–833م)، وهذا ما لا يتفق مع السنة المذكورة في النقش.(اتنجهاوزن 1974) ويذكر أن سبب بناء قبة الصخرة المشرفة تعظيم المكان والصخرة ذاتها لارتباطها بحادثة الإسراء والمعراج.

مهاد في مخطط البناء

ان مخطط قبة الصخرة المشرفة بني وفق أسس هندسية دقيقة ومتناسقة تدل على مدى إبداع العقلية الهندسية الإسلامية، حيث اعتمد المهندس المسلم في تصميم هيكلها وبنائها على ثلاث دوائر هندسية لتشكل فيما بعد هذا المعلم. ومع العناصر المعمارية الثلاثة التي جاءت محصلة تقاطع مربعين متساويين: مع بناء القبة التي تغطي الصخرة وتحيط بها، وكذلك التثمينتين الداخلية والخارجية اللتين تحيطان بالقبة نتج فيما بينهما رواق داخلي على شكل ثماني الأضلاع.

و القبة جاءت بمثابة الدائرة المركزية التي تحيط بالصخرة وهي تقوم على أربع دعامات حجرية واثني عشر عموداً مكسوة بالرخام، تحيط بالصخرة بشكل دائري ومنسق بحيث يتخلل كل دعامة حجرية ثلاثة أعمدة رخامية. وتتكون القبة من طبقتين خشبيتين داخلية وخارجية. وأما رقبة القبة فقد زينت من الداخل بالزخارف الفسيفسائية، كما فتح فيها ست عشرة نافذة لغرضي الإنارة والتهوية (Creswell, 1969) .

وأما القياسات الهندسية لأبعاد القبة فقد جاءت على النحو التالي:

قطر القبة الداخلي (29,44م) وارتفاع رقبتها (9,8م). قطر المبنى بشكل عام (52م) وارتفاعه (54م) وأما أضلاع المثمن فيبلغ طول كل منها (20,60م) على ارتفاع (9,5). علماً بأن أبعاد الصخرة المشرفة نفسها (17,70م و13,50م) (4). ويقوم أسفل الصخرة المشرفة كهف صغير يعرف بالمغارة، مربع الشكل تقريباً (4,5 م2) ومتوسط ارتفاعه 3 م. وقد أقيم في جهته القبلية محرابان، أحدهما وهو الواقع في الجانب الشرقي للمغارة يعود في تاريخه للفترة الأموية والثاني في الجانب الغربي لها والذي يعود تاريخه لفترات متأخرة (شكل 1).

ويوجد للبناء أربعة أبواب بالاتجاهات الطبيعية الأربعة بعرض بلغ مترين ونصف وبارتفاع يزيد على أربعة أمتار، وزودت أضلاعها الثمانية بمجموعة من النوافذ المغلقة والمفتوحة (عبد الحميد، 1986،)(عكاشة، 1981). (زكي، 1981).

ومعلوم إن الجدران الداخلية والخارجية للبناء قد زخرفت بفنون الفسيفساء المذهبة والمفضضة بالإضافة لمكعبات الفسيفساء الحجرية مع استخدامات واسعة للحجارة الكريمة والأصداف الحجرية مما أفرز تنوعاً واضحاً في الزخارف النباتية سواء منها الطبيعية أو المحورة على جميع أسطح ومساحات الفراغات المتوفرة في الداخل والخارج. وإن تغطية الجدران بالفسيفساء أضفى على البناء مزيداً من العناصرالفنية من خلال كميات وأنواع الزخارف وجميعها جاءت بأساليب فنية محلية شامية سادت قبل تلك الفترة وبعدها (عارف، 1958) (Ettinghousen, 1963).

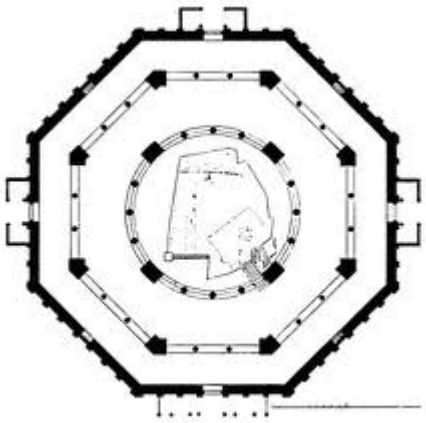

2. JERUSALEM: DER FELSENDOM.

الشكل (1) (مخطط ارضي للبناء)

النقوش المنفذة على جدران واجهات قبة الصخرة

ربما لم يحتو مبنى من العصر الأموي على كم كبير من الكتابات، كما حوى مبنى قبة الصخرة، فقد ظهرت الكتابات على الجدران الداخلية والجدران الخارجية وعليه يمكن تصنيف هذه الكتابات على النحو التالي:-

1- النقش التأسيسي.

2- نقوش فترة الإصلاحات.

3- النقوش القرآنية وهي تقسم بحسب مواضع تواجدها إلى:-

أ- النقوش الداخلية (على جدران التثمينة الداخلية).

ب- النقوش الخارجية (على جدران التثمينة المقابلة).

4- النقوش على الجدران الخارجية للمبنى.

وفيما يلي استعراض سريع لهذه الكتابات بحسب مواضع تواجدها وصولاً إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الذي يتمحور حوله البحث:

1- النقش التأسيسي:-

ينص شريط مكتوب بالفسيفساء على ما يلي" بنى هذه القبة عبدا لله، المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل منه ورضي عنه آمين" (العارف، 1958، 69) وقد كتبت على خلفية سوداء وخط بلون ذهبي مزرق (اللازوردي) (Berchem,M,1982)

إن النص فيه إشارة واضحة إذا قرأت الكلمة باسم (المأمون)، وهذه مخالفة صريحة لتاريخ البناء وهو سنة(72هـ/ 691م) وهي خلافة عبد الملك بن مروان. (العارف، 1958).

(Grabar,Oleg; The Shape of the Holy: Early Islamic Jerusalem. 1996)

شكل (2): نقش المأمون

2- نقوش فترة الإصلاحات:-

إن المبنى يحتوي عدداً من كتابات الإصلاحات والترميمات في أكثر من موضع جاء على ذكرها عارف العارف على سبيل الذكر وليس الحصر حتى لا يخرج البحث عن مقاصده.

فبالإضافة للنص التأسيسي فقد دون في زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي وولده الظاهر لإعزاز الدين على يد علي بن أحمد نقش على الأخشاب، ويذكر الهروي في الزيادات أنه شاهد ذلك (العارف،1955) (الهروي، الزيارات.....). ونص آخر للسلطان صلاح الدين سنة 586هـ / 1190 م، وسورة ياسين في أعلى التثمينة الخارجية زمن السلطان عبد الحميد عام 1293هـ-1876م (العارف،1955) وغيرها من النصوص التي تشير لترميمات وإصلاحات متعددة لا يتسع المجال لذكرها.

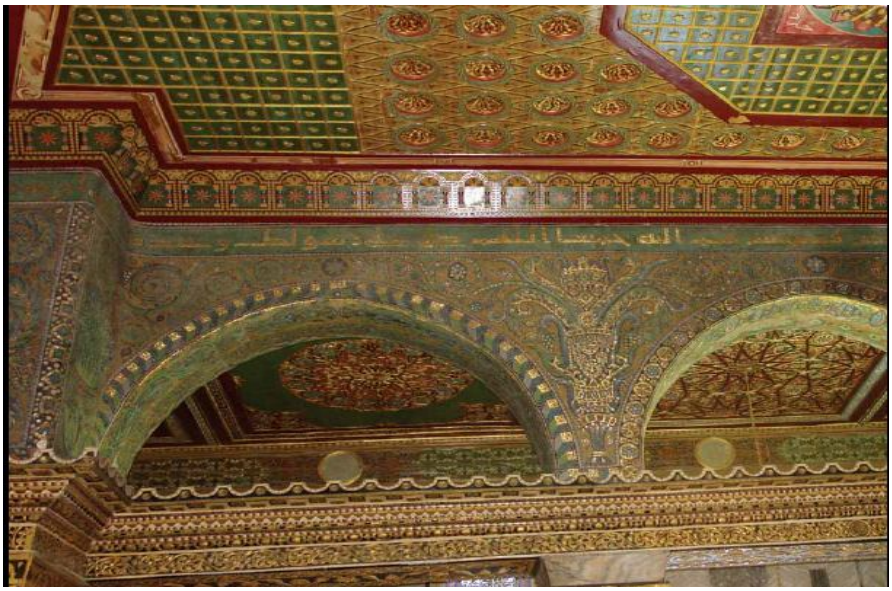

شكل (3) الكتابات الاموية.

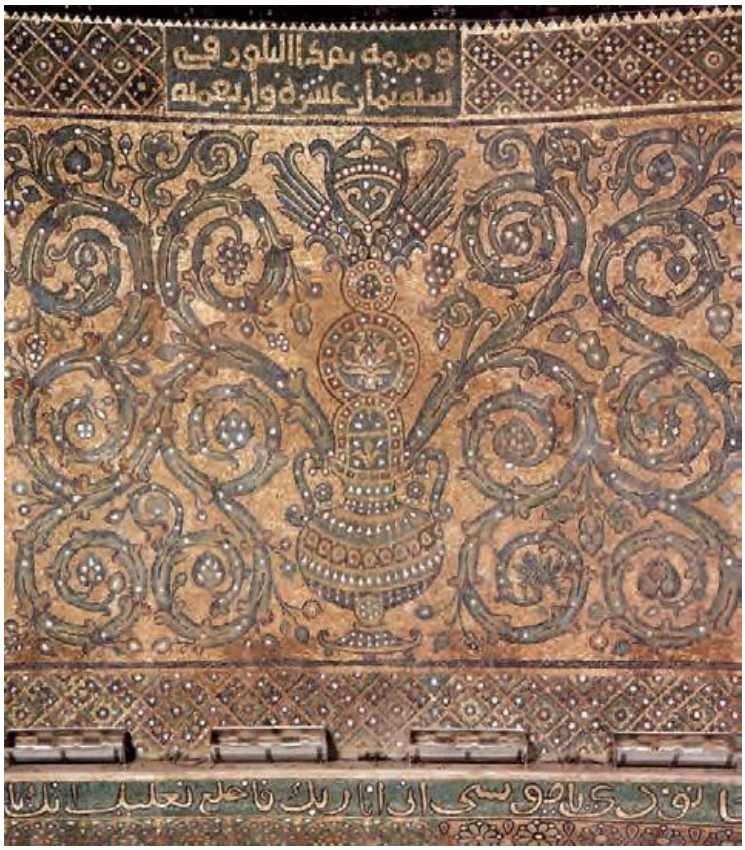

(Photos: Grabar,Oleg; The Shape of the Holy: Early Islamic Jerusalem.1996)

شكل (4): نقوش الاصلاحات

3- 1- النقوش على التثمينة الداخلية:

- الضلع الجنوبي للمثمن: (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد "يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" الحديد (2) محمد عبد الله ورسوله).
- الضلع الجنوبي الشرقي: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) الأحزاب (56)، (صلى الله عليه والسلام عليه ورحمة الله).
- الضلع الشرقي للمثمن: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ) (النساء 171).
- الضلع الشمالي الشرقي: (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً) (النساء 171). (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ) (النساء 172).
- الضلع الشمالي للمثمن: (وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) (النساء 172). (اللهم صلي على رسولك وعبدك عيسى ابن مريم) دعاء.
- الضلع الشمالي الغربي: (وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً) (مريم 15). (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ تَمْتَرُونَ) (مريم 34). (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا) (مريم 35).
- الضلع الغربي للمثمن: (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (مريم 47). (إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (مريم 36). (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران 18).
- الضلع الشمالي الغربي: (إِن الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (آل عمران19).

S بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا
شريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو
على كل شيء قدير محمد عبد الله ورسوله
SE ارالله وملكته يصلون على النبي ياايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما صلى الله عليه والسلم
عليه ورحمة الله ياهل الكتب لا تغلوا في دينكم
E ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله وكلمته القيها الى مريم وروح
منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا
NE خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد
له ما في السموت وما في الارض وكفى بالله
وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون

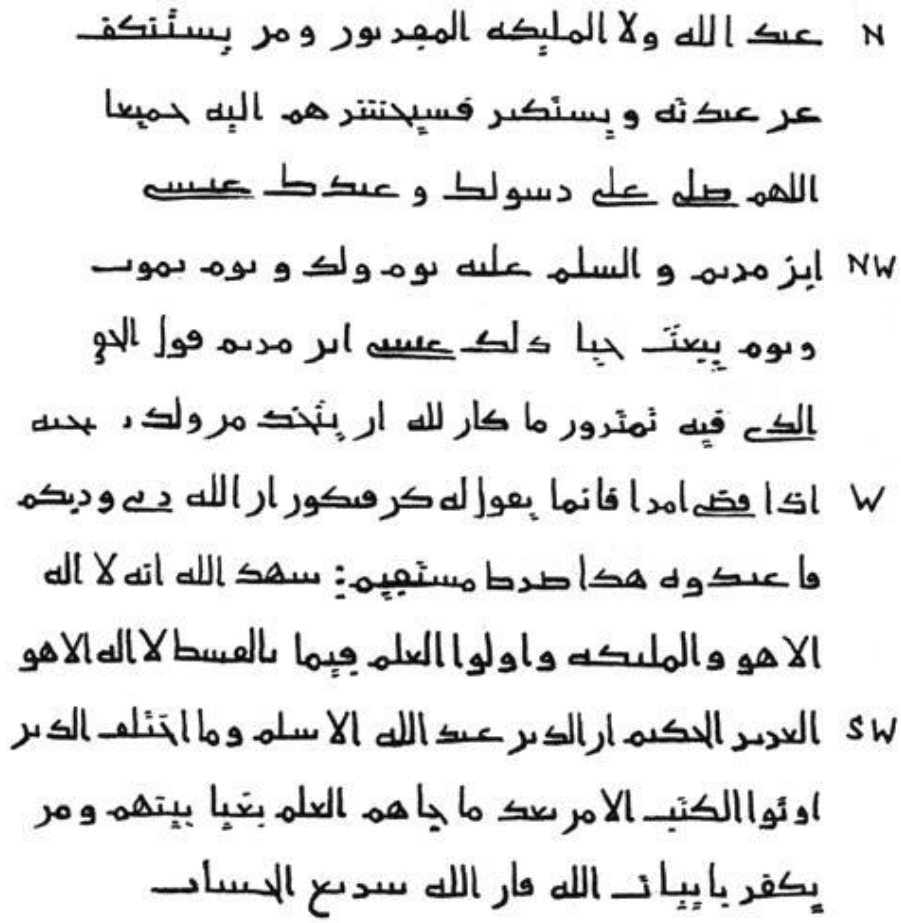

Journal of the Royal Asiatic Society (8, 1970)

شكل (5): الكتابات القرانية بالفسيفساء تفريغ

إن الآيات القرآنية الظاهرة على الوجه الداخلي للتثمينة هي آيات مقتبسة من عدد من السور هي الحديد، الأحزاب، مريم، وآل عمران، والنساء وهذه الآيات الكريمة وإنما تأتي بتوجيه واضح للنصارى إلى عدة أمور أهمها الوحدانية وأن الله فرد صمد لم يلد ولم يولد في معرض الرد على عقيدة التثليث النصرانية وتأكيداً على أن عيسى عليه السلام إنسان بشر وعبد من عباد الله لا يجوز الوصول به إلى مرحلة الإلوهية أو التأليه. فضلاً عن احتواء النصوص، وبذكر صريح، للرسول صلى الله عليه وسلم مع ورود بعض الأدعية.

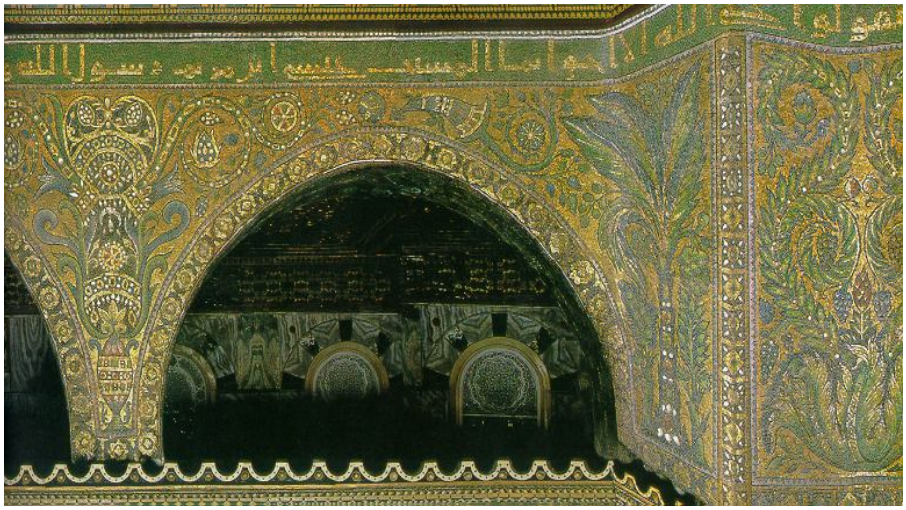

http://classes.maxwell.syr.edu/his211-001/Two%20Visuals%20&%20Pages/DomeRockInscription.jpg

شكل (6) الآيات القرآنية التي تذكر المسيح.

إن النصوص القرآنية بخصوص الوحدانية وعقيدة الثالوث النصرانية تقدم مجالاً واسعاً للتساؤل فلماذا جرى التركيز عليها دون سواها من الآيات القرآنية، ولماذا أراد صاحب البناء توجيه الفنانين لنقش هذه الآيات ذات الخطاب الدلالي باتجاه النصارى في بيت المقدس؟.

وما يتبع ذلك غياب نصوص تتعلق بحادثة الإسراء والمعراج في بيت المقدس وهذا ما يتم الإجابة عليه في التحليل والمناقشة القادمة.

2-3 نقوش التثمينة الخارجية:

- الضلع الشمالي للمثمن: (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (الإخلاص). (محمد رسول الله صلى الله عليه).
- الضلع الشمالي الغربي: (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله إنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ). (الأحزاب 56).
- الضلع الغربي للمثمن: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا - - بسم الله الرحمن الرحيم..لا إله إلا الله وحده الحمد لله).
- الضلع الشمالي الغربي: (للة الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) (الإسراء 111) . (محمد رسول ا).
- الضلع الشمالي للمثمن: (صلى الله عليه وملائكته ورسله والسلام عليه ورحمة الله - بسم الله الرحمن الرحيم لا إلا الله وحده لا شريك له).
- الضلع الشمالي الشرقي: (له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبل شفاعته يوم القيامة في أمته).

- الضلع الشرقي للمثمن: (بسم الله الرحمن الرحيم إلا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم -زخرفة وردية- بنى هذه القبة عبد الله عبد)
- الضلع الجنوبي الشرقي: (الله الإمام المأمون أمير/ المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه آمين رب العالمين ولله الحمد).

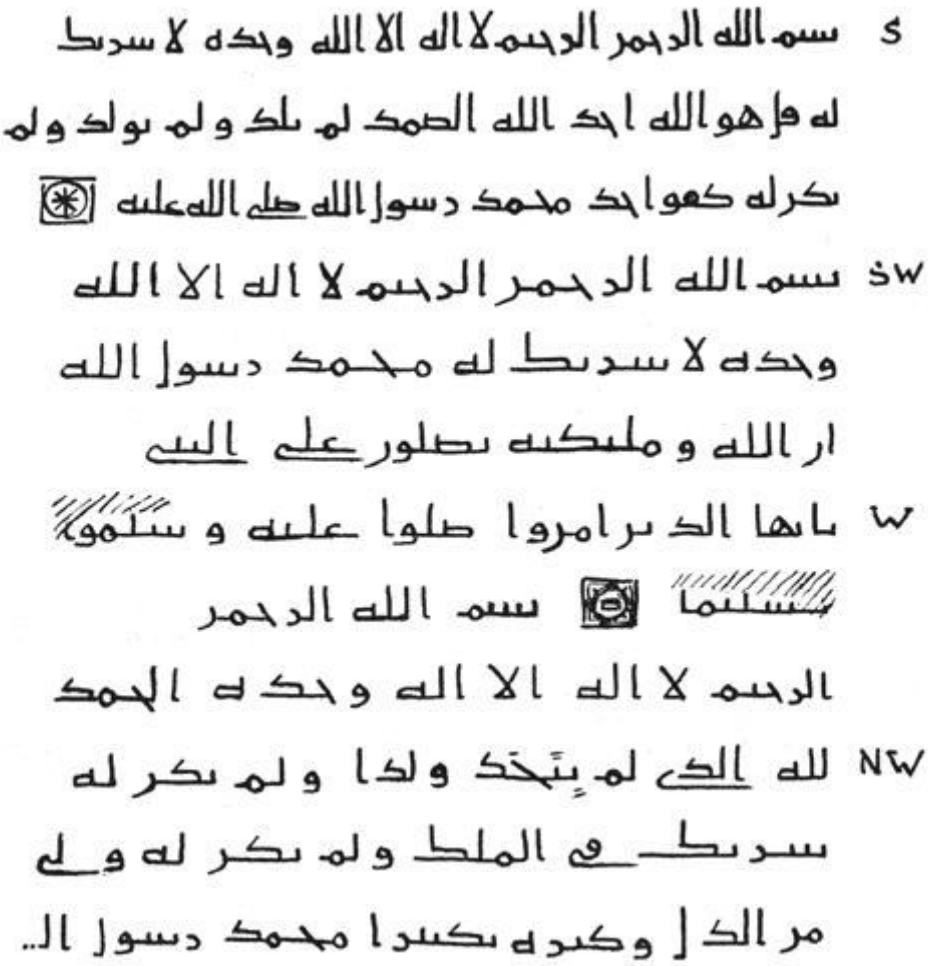

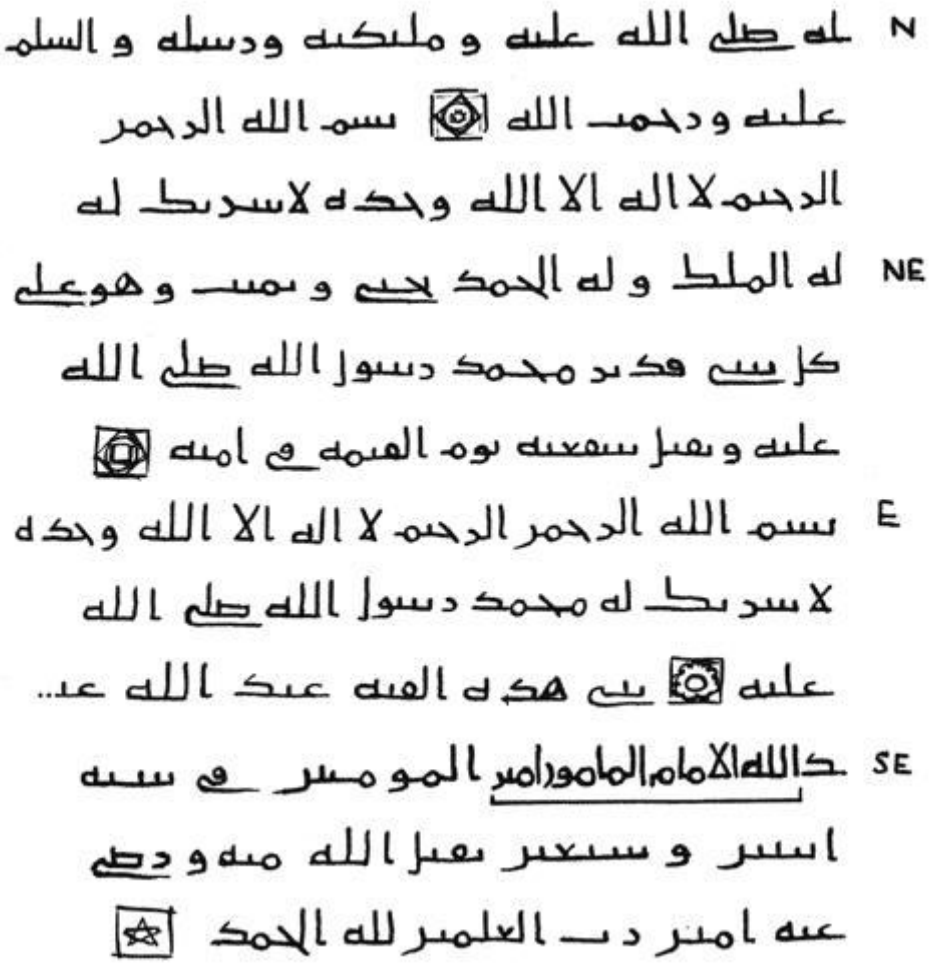

(1970, Journal Of The Royal Asiatic Society.)

يلاحظ أن هذه الكتابات التي تضم نصوصا قرآنية ودعائية تحتوي مثلا سورة الإخلاص كاملة مع الصلاة على النبي عليه السلام، ثم تأتي البسملة ونص من سورة الأحزاب، ونصوص أخرى تحتوي نصاً وحيداً من سورة الإسراء "الله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا"(الإسراء111) وآيات أخرىاقتبست من سور متعددة سيرد ذكرها لاحقاً لتكرارها في الوجه الداخلي للتثمينة مع نص سبق وأن أشير إليه يتعلق بالنص التأسيسي الذي يذكر الإمام (المأمون).

إن الغرابة في هذه النصوص هو أن الآية (111) من سورة الإسراء ليست الآية التي لها علاقة بحادثة الإسراء وإنما فيها رسالة للنصارى لتشير إلى أن الله واحد ليس له شريك في الملك، وهي آية تنص على الوحدانية بعيداً عما ذهب إليه النصارى من عقيدة التثليث، خاصة وأن نسبة كبيرة من النصارى لا زالت آنذاك من سكان بيت المقدس، وهذا الأمر سيتم مناقشته لاحقاً في الموضع الخاص بمثل هذه المناقشة. فضلاً عن أن سورة الإخلاص في القرآن الكريم سورة واضحة الدلالة على التوحيد وأن الله ليس له شريك في الملك والخلق...الخ.

4. النقوش على الجدران الخارجية للمبنى:

تحتوي الجدران الخارجية للبناء على نصوص قرآنية وسور، مثل سورة (يس) التي كتبت على البلاط القاشاني الأزرق المؤرخ والمشير إلى الفترة العثمانية، بالإضافة إلى بعض نصوص قصيرة من القرآن الكريم عند الأبواب الأربعة للبناء وبعض النوافذ. (Grabar,1987) (العارف،1955) وغيرها من الكتابات أمثال" لا إله إلا الله" (خليل بن محمد،) (عثمان بن محمد)..إلخ (أنا مدينة العلم وعلي بابها) (العارف،1955) وهذه الكتابات القرآنية وغيرها على الواجهات الخارجية تؤرخ إلى فترتين زمنيتين هما فترة السلطان سليمان القانوني(969هـ/1561م) الذي رمم واستبدل الفسيفساء بالقاشاني الأزرق وفترة السلطان محمود الثاني (1223هـ/ 1817م) مع إضافات للسلاطين عبد المجيد وعبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني(1293هـ/1876م) الذي اختار خطاطين مثل محمد شفيق الذي كتب سورة "يس" بخط الثلث ،وهذه السورة تبدأ من الجهة الجنوبية الشرقية وتنتهي عندها على الواجهات الثمانية الخارجية في الإطار العلوي (Richmond,1924) أما سورة الإسراء فهي حول رقبة القبة على الإطار السفلي (Richmond,1924). وهناك كتابات وأدعية تشير لفترات الإصلاح والترميمات في الفترة العثمانية مع أسماء من قاموا بذلك.(Richmond,1924)

التحليـل والمنـاقشـة

يغلب الظن عند بعض المشتغلين أن السبب هو تعظيم الصخرة المشرفة والحفاظ عليها من عبث العابثين ومحاولة ايجاد بناء ينافس بناء كنيسة القيامة المجاورة والتي لا تبعد كثيراً عن بناء قبة الصخرة (عبد الجواد، 274،1969) وهذا مذهب في تفسير البناء أخذ عن المقدسي بقوله أن عبد الملك عندما رأى قبة القيامة التي يحج إليها المسيحيون خشي أن تؤثر فخامة تلك الكنيسة على قلوب المسلمين، فاعتزم أن يبني مسجداً مثلها أو أحسن فبنى قبة الصخرة، حيث يقول "ألا ترى أن عبد الملك لما رأى عظم قبة القيامة وهيئتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى".(المقدسي، 2010،).

وكذلك فقد ذهب آخرون إلى القول بأن أرجح ما يقال في سبب البناء أن الرسول قد عرج من الصخرة في حادثة الإسراء والمعراج المشهورة فجاء البناء لتخليد الحادثة وحفظاً للصخرة من العوامل الجوية (عياش: 2010، ص57)، ولتأكيد مكانة القدس من ناحية أخرى. وجاء أيضاً أن الناس فتنوا بالكنائس المنتشرة في بلاد الشام وأهمها القيامة وأراد عبد الملك أن يفتخر المسلمون بأقدس الأماكن بعد مكة والمدينة (العارف، المفصل، ص108). (ياسين، أحمد، قبة الصخرة، بحث الكتروني، ص7). (Berchem, M, c, III,260) (Rosen,A,1989).

فبعد استعراض للآراء المتعلقة بسبب البناء ودوافعه لا بد من تعليق استنتاجي يعنى بالأسباب الحقيقية وراء عوامل نشأة قبة الصخرة، وعليه نقول بأن طائفة المستشرقين الذين اتكأوا على رواية اليعقوبي شأنهم شأن اليعقوبي في محاولة الطعن على عبد الملك بتحويل الحج وهذا ما يمكن الرد عليه بسهولة وذلك أن عبد الملك بن مروان قبل دخوله في معترك إدارة الدولة الأموية كان يعيش في المدينة المنورة وتعلم الفقه وأصول الدين على كبار علمائها وكان يلقب بحمامة المسجد.(ابن كثير، 1985،مج9) (ابن عساكر، 1994).

وكذلك فالمعروف عنه قبل الخلافة أنه كان يمتاز بعمق الدراية الدينية وكان من الفقهاء الذين يعتد بأقوالهم في الخلاف ،فقد ذكر الشيرازي، أن ابن عمر سئل من يتبع بعدهم فقال أن لمروان ابناً فقيهاً فاسأله فكان يقال فقهاء المدينة أربعة، سعيد وعبد الملك وعروة وقبيصة.(الشيرازي، 1970)

وعلى ذلك فلا يقبل ما ذهبوا إليه من الطعن في عبد الملك؛ فكيف للفقيه بأن يحول الحج نحو بيت المقدس بغض النظر عن الخلاف مع ابن الزبير في مكة، وهي فرية أرادوا بها الإساءة لعبد الملك خصوصاً وللدولة الأموية عموماً، فهذا التبرير السياسي مرفوض، ولا يبنى عليه كما فعل المستشرقون.

أما ما ذهب إليه البعض بأن القبة بنيت لتخليد حادثة الإسراء والمعراج فهي مقبولة إلى حد ما، غير أن السبب الحقيقي وراء ذلك هو ما ذكر بخصوص أن بيت المقدس يحتوي الكثير من الأبنية الدينية المسيحية بما فيها كنيسة القيامة وأراد عبد الملك أن يبني بناء يؤكد عظمة الإسلام من جهة، خاصة في بيت المقدس الذي تعج بالنصارى والذين لم يسلموا ولذلك نجد أن الآيات القرآنية المدونة على التثمينة كلها نصوص قرآنية تحث على الوحدانية وعلى التأكيد أن عيسى عليه السلام ليس إلهاً وإنما هو عبدا لله ورسوله في رسالة واضحة تمام الوضوح للنصارى في بيت المقدس على أهمية التوحيد عموماً. وفي البناء نجدً رسالة واضحة في التذكير بالهوية الإسلامية الدينية لبيت المقدس تحتوي الكثير من الجوانب الحضارية للدولة الإسلامية وذلك من خلال بنائه وتزيينه بما يتوافق مع طابع الأبنية في بلاد الشام. وكان يجب أن تكون مناظرة وربما أكثر جودة من المباني الأخرى، وهذا ليس من باب التقليد ولا التنافس بل لإكساب المدينة المقدسة مزيداً من الشرعية الإسلامية وتحقيق التوازن ما بين القديم والجديد من حيث الانجازات الثقافية والحضارية للإنسان، وإبراز مدى التفاعل الثقافي والحضاري للشعوب المسلمة مع الآخرين.

إن الجدران الداخلية لم تحتو نصوصاً قرآنية تتعلق بحادثة الإسراء والمعراج، والجدير بالذكران الموجود هو نص قرآني وحيد من سورة الإسراء المكية الآية رقم (111) "وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا"وهي على الضلع الشمالي الغربي من الوجه الخارجي للتثمينة، وواضح أنها من نفس فئة الآيات الأخرى المتعلقة بالتوحيد، وحث النصارى على هذا الأمر، والإقرار به.

إن سورة الإسراء لم تظهر في داخل المبنى عموماً ولا يوجد أي نص من بداية السورة يشير إلى هذه الحادثة، فإن كان الأصل في البناء هو تخليد الحادثة ومعراج النبي عليه الصلاة والسلام من صخرة بيت المقدس، فكان الحري بفناني ونقاشي عبد الملك بن مروان أن يكتبوا ذلك، أو حتى كان يجب على عبد الملك أن يوجههم إلى هذا الأمر، وفي هذه الحالة فإن عدم ذكرها يشير إشارة واضحة الى أن البناء لم يبن أصلاً لتخليد حادثة الإسراء والمعراج وهذا ما سيشار إليه لاحقاً.

ويجب أن يلاحظ أن البناء كما هو مزخرف ومزين بالفسيفساء من الداخل بما تحتويه من فنون نباتية وهندسية ونصوص آيات وأدعية فإن الجدران الخارجية كانت أيضا مزخرفة بمثل ما في داخلها، بدليل ما ذكره العمري والقزويني وابن بطوطة والحنبلي وغيرهم (العمري، 1924، القزويني، 1960 ،ابن بطوطة، 1985، الحنبلي، 1968).

من ذلك يتبين أن الجدران الخارجية كانت تحتوي على الفسيفساء دون أن يحددوا نوع وشكل الزخارف، وما يؤكد ذلك زيارة الحاج فابري صاحب كتاب Evagatorium حيث تحدث عن مشاهدته عام 1480م وذكر رسومات الأشجار.(Clermont, 1971) وكذلك زيارة الحاج أنشودي عام 1519م، والحاج أنطونيو عام 1530م.(كريزول، 1984).

فمن خلال ذلك يمكن القول بأن هنالك تشابها بين الفسيفساء الداخلية والخارجية من حيث الزخارف والكتابات، وما يمكن البناء عليه قيام السلاطين العثمانيين بإزالة الفسيفساء التي أثرت فيها العوامل الخارجية وأدت إلى تشويهها واستبدالها بالبلاط القاشاني، حيث نقشت سورة ياسين على الأطراف العليا للجدران الثمانية، وجاءت سورة الإسراء لتدور حول رقبة القبة كما ذكر سابقاً.

وعليه فإن البحث ينحو نحو تفسير وجود هاتين السورتين بأن أصلهما كان منقوشاً بالفسيفساء وعندما سقطت مكعبات الفسيفساء المكونة للسورتين جرى الاستعاضة عنها ببلاطات من القاشاني تحمل نفس السور، وهذا ما دعا نقاشي العصر العثماني لإعادة كتابة السور بمادة أخرى غير الفسيفساء وبذلك تكون القبة أصلاً تحمل سورة الإسراء على إطار الرقبة الخارجي وليس في داخلها، وإن صح ذلك فإن المراد من بناء القبة تخليد الحادثة على نحو مميز وبارز من الخارج لكل من يشاهدها.

ومن جهة أخرى، لم تكن أصلاً سورة الاسراء موجودة فهذا يدفع باتجاه القول إن بناء القبة لم يكن مقصوداً بهذا الخصوص إنما أراد بذلك عبد الملك أن يبني بناءاً يتناسب مع قباب المدينة المقدسة، فبنى هذه القبة زيادة في إبراز عظمة الإسلام أمام سكان المدينة من النصارى، ومضاهاة منه لأبنيتهم الكنسية المنتشرة في المدينة، وكذلك أراد إظهار مسألة التوحيد وإنسانية السيد المسيح في بناء لافت لأنظار السكان النصارى، وتأكيداً منه على هذه المسألة، وتقاربا منه لسكانها وأن الإسلام دين سماوي جاء على ذكر قصة المسيح عليه السلام في سياق ديني إسلامي.

وعليه فإن بناء قبة الصخرة قُصد منه كذلك الحفاظ على الصخرة من العوامل الجوية والإنسانية بعيداً عن مسألة تقديس للحجارة التي حاربها الإسلام ولم يقبل بها.

وفي كل الأحوال فإن المسجد الأقصى هو المذكور في السورة وليس الصخرة كما أن تخليد الحادثة الأصل فيه أن يكون في المسجد الأقصى المبارك وهو المسجد الذي تشد الرحال إليه بحسب الحديث النبوي الشريف.

الخـلاصـة والنتـائـج:

استناداً إلى ما سبق وتأسيساً وتأكيداً عليه فإن البحث عن سورة الإسراء بالتوافق مع نصوص قرآنية أخرى ظهرت على جدران القبة الخارجية والداخلية يمكن الوصول إلى ما يلي:

- جاءت جميع النقوش الاموية عل جدران المبنى بالخط الكوفي.
- أن الفسيفساء الداخلية المتعلقة بالنصوص القرآنية يمكن إجمالها على نوعين الأول:نقوش التثمينة من الجهة الداخلية وثانياً نقوش التثمينة نفسها من جهتها الخارجية.
- لم تظهر سورة الإسراء على أي من التثمينتين داخل المبنى مما ينفي الفكرة الشائعة كما ذكرنا عند الباحثين من أن البناء جاء لتخليد حادثة الإسراء والمعراج والتي لم يثبت بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرج فعلاً من صخرة بيت المقدس.
- إن جميع الآيات القرآنية الواردة داخل البناء تحمل إشارة واحدة وهي توجيه قرآني للنصارى في بيت المقدس إلى مسألة التوحيد، وأن المسيح عليه السلام ليس ابناً لله، كما هو في المعتقد المسيحي، فقبة الصخرة تحمل رسالة واضحة على مر العصور بهذا الخصوص، خاصة وأن جُلَ النصارى كانوا متركزين في بيت المقدس حيث كنيسة القيامة وكذلك قرب كنيسة المهد في بيت لحم غير البعيدة عن

القدس، فضلاً عن أن المسيحية عموماً انتشرت من هذه البقاع إلى أنحاء العالم، وهي المنطقة التي يحج إليها المسيحيون عبر العصور؛ فوجود مثل هذه الآيات تحمل مثل تلك الرسالة التوحيدية.

- إن سورة الإسراء ومن خلال الآية الوحيدة داخل القبة تحمل نفس الرسالة، دون أن يكون لها علاقة بالحادثة ذاتها.

- وجود سورة الإسراء على الإطار الخارجي لقبة الصخرة بالقاشاني العثماني يشير إلى مسألتين:-

الأولى: إن السورة ربما كانت أصلاً موجودة بالفسيفساء ولكنها اختفت أو تشوهت ولذلك عند إعادة الأعمار العثماني جرى استبدال مادة الفسيفساء بالقاشاني العثماني وحملت نفس السورة.

الثانية: أن السورة لم تكن أصلا موجودة، ولذلك أراد المرمم في العصر العثماني تأكيد حادثة الإسراء بإضافة السورة على الرقبة الخارجية لشيوع فكرة أن البناء كان لمثل هذه الغاية.

- الأصل أن تكون (وهذا ما حدث) السورة على جدران أو قبة المسجد الأقصى وهذا ما حدث فلأمر إذن يحمل بالفعل دلالة الحادثة، خاصة وأن كل المنطقة التي بني فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة هي منطقة المسجد الأقصى الواردة في السورة لأن المقصود بالمسجد الأقصى هنا مكان السجود للنبي والأنبياء في ليلة الإسراء والمعراج والصلاة في هذا المكان، وهذا لا يعني أن المسجد كبناء كان قائماً آنذاك إنما الأرض ذاتها هي موضع ومكان السجود، وعندما بني المسجد الأقصى وقبة الصخرة في العصر الأموي فقد شمل هذا البناء مساحات المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمناطق المحيطة بهذا الموضع.

- إن الدراسات السابقة على كثرتها لم تتطرق لموضوع سورة الإسراء أو الآيات القرآنية ودلالاتها على جدران قبة الصخرة عموماً، فقد غابت هذه الدراسات عن الخوض في مثل هذه الناحية الهامة، ولذلك أخذ هذا البحث على عاتقه دراسة هذه المسالة لعلها تكون فاتحة لدراسات أخرى تتناول هذه المسألة أو سواها فيما يتعلق بهذا المبنى المميز منذ أيام الدولة الأموية.

قائمة المراجع العربية

ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي 1985 المنتصر الكتاني.

ابن عساكر، تاريخ دمشق، مج 37، بيروت، دار الفكر، 1994

ابن كثير، أبو الفداء، البداية والنهاية، مج 9، دار الكتب العلمية، بيروت.

اتينجاهوزن، رتشارد، فن التصوير عند العرب، بغداد، مطبعة الأديب، ترجمة يحي سليمان وسليم طه 1974.

توفيق، أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة في العصور الأوروبية والإسلامية، القاهرة.

حسن، زكي محمد، الأعمال الكاملة- فنون الإسلام، ج3، دار الرائد العربي، 1981، بيروت.

الحنبلي،محيي الدين، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، المطبعة الحيدرية. 0بدون تاريخ نشر

الشيرازي، طبقات الفقهاء، دار الرائد العربي، بيروت، تحقيق إحسان عباس.1970

العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ج1، ط5، 1999، مطبعة المعارف، 1999 ، القدس.

العارف، عارف، تاريخ القبة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ 1955 ، القدس، دار الأيتام الإسلامية، القدس.

عبد الحميد، سعد زغلول، العمارة والفنون في دولة الإسلام، القاهرة.1986

عكاشة، ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة.1981

العمري، ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج1، دار الكتب 1924 المصرية، تحقيق أحمد زكي.

عياش، حسين، المسجد الأقصى وقبة الصخرة قيمتها الدينية ومكانتها في نفوس المسلمين، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 18، كانون الثاني.

القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.1960

كريزول، الآثار الإسلامية الأولى، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، ترجمة عبد الهادي عبلة. 1984

المقدسي، البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر،بيروت ومكتبة مدلولي، القاهرة. 2010

اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج1+ 2، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر.1960

المراجع الاجنبية

References

Burkhardt, Titus: Art of Islam, London,World of Islam Festival, 1976, Puplish Company Ltd.

Creswell, K.A.C: Early Islamic Architecture,Vol.1,11, 1969, Oxford.

Creswell,K.A.C: Ashort Account of Early Muslim Architecture, 1989, Cairo, The American University in Cairo Press.

Ettinghousen, R.: The Arab Painting, Kira, 1977.

Goldziher Igans: Muhammedanische Studien, Hildesheim: Georg, 1996 Olms,Verlagsbuchandlung,Vol.2.

Grabar, O.: The Formation of Islam Art, Revised and England, 1987, Edition,Yale University Press, New Haven, London.

Grabar, Oleg: The Shape of the Holy: Early Islamic Jerusalem, 1996.

Hitty, Ph.: History of the Arab, New York St., Martins Press, 1996.

Le Strange: Guy-Notices of the Dome of the Rock and the Church, 1887 of the sepulcher, By Arab Hitorian Prioreto the First Crusade, P.E.Q, 1887,P90-103.

M.Van Berchem: Matriaux Pur Um Corpus insecription Arabicarum II,III.

M.Van Berchem: the Mosaics of the Dome of the Rock in 1979, Jerusalem in Creswell, E.M.A. Part II.

Richmond, E.: The Dome of the Rock in Jerusalem, Oxford, at the 1924, Clarendon Press, England.